1- حينما فقدت الشعور

سهيلة عظيمة

في عام 2047

كان كريم مستلقيا على سريره بسكون بتلك الغرفة الباردة, التي لا يُسمع فيها سوى صوت جهاز النبض الذي يعد العلامة الوحيدة على بقائه حيا, كان شعره ولحيته يكادان يخفيان ملامحه من كثافتهما, ورغم جسده الهزيل ولونه الشاحب إلا أنه كان شابا وسيما.

ظل مدير المشفى يتأمله بصمت, فدلفت الممرضة للغرفة وقامت بفحص مؤشراته الحيوية، وقالت بعملية:

. مؤشراته جيدة كالمعتاد.

أومأ مدير المشفى رأسه وهو لا يزال يتأمله قبل أن يقول:

. أتعلمين؟ في نفس هذا اليوم منذ 17 عاما جاء إلى هنا, لقد أصبح عمره الآن 37

اقترب من الأجهزة المتراصة بجوار فراش المريض.. وكأنه يتأكد بنفسه أن كل شيء على ما يرام قبل أن يتابع حديثه:

. كان لكريم أخت تدعى ريم, والداه متوفيان، فقد كانت هي كل ما يملك.

تساءلت الممرضة بذهول:

. لماذا إذن لم تأت لزيارته طوال هذه المدة؟

أعاد النظر إليها بأعين تشع بالحسرة قبل أن يجيب قائلاً:

. لقد ماتت.

حل الصمت بأنحاء الغرفة حتى ولج ذلك الطبيب الشاب "فتحي" إلى الغرفة بأعين امتلأت بالحماس، نظر له المدير وقال:

يبدو عليك الحماس يا فتحي، لقد أتيت قبل ميعادك!

ابتسم فتحي ليعلن عن صفين من الأسنان البيضاء.. قبل أن يقول:

. في الحقيقة لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك.

تنهد مدير المشفى معلنًا عن هجمات القلق التي بدت أكثر على حديثه:

. حسنا, على أي حال ستجهز الغرفة بعد قليل، بالطبع تعرف تفاصيل يوم الحادث أليس كذلك؟

قال فتحي بلهجة صارمة تخلو من القلق وكأنه يجيب على سؤال بامتحان شفوي استعد له طوال حياته:

. بالتأكيد.. بعد الحادث أستيقظ كريم فقط ليوم واحد, كل ما كان يردده حينها هو ريم.. ريم, أخبره طبيبه أنها ماتت، وأنه الوحيد الذي نجا بعد أن اصطدم بشاحنة كبيرة أثناء قيادته وهو مخمور, حطم الغرفة بالكامل وضرب طبيبه والممرضين, ثم فقد الوعي ليستمر في سباته العميق حتى الآن.

اقترب فتحي من ذلك الثلاثيني الراقد في ثبات متأملًا ملامحه المنهكة ثم تابع:

. إنها غيبوبة من نوع خاص.

عقب المدير على كلام الطبيب الشاب قائلا:

. أتعلم؟! لو كنت مكانه لبقيت في سباتي، لماذا برأيك سيستيقظ بعد كل هذا؟ ليتحسر على سنواته الضائعة، أم على عائلته التي لم يبق منها أحد.

ثم صمت قليلا وتابع:

. ولعلمك أنا لا أوافق على تجربتك هذه، رغم صدور الموافقة عليها إلا أنني لا زلت معترضا، وأظن أنه لو استيقظ فأول شيء سيفعله هو التخلص منك.

ابتسم فتحي حتى بدت أسنانه ثم تساءل:

. هل أسيل جاهزة؟!

. نعم, ولكن أسمح لي بأن أسأل لماذا أردت ضمها للتجربة؟

قال فتحي بثقة:

. دعني أُجيب عن سؤالك الأول, لماذا سيستيقظ؟! إن سبب بقائه في هذه الغيبوبة أنه لا يملك سببا للحياة, كريم كان سبب وفاة أخته, عقله الباطن يرفض العيش ولولا الغيبوبة لانتحر في اليوم ذاته, أردت أن يشعر بأن هناك أحدا مثله، أحدًا بجواره يدفعه للبقاء حيا, لقد أطلعت على سجل أسيل, أسيل في غيبوبة منذ عامين أصيبت بنوبة قلبية بعد وفاة والدها, ولم يأت أي أحد لزيارتها أيضا.

قاطع دخول الممرضة حديثهما وهي تخبرهما بأن الغرفة أصبحت جاهزة الآن استعد فتحي للذهاب فأوقفه المدير قائلا:

. تذكر أن أي شيء يحدث له أو لها فأنت وحدك المسئول عنه.

ابتسم فتحي بغرور قائلا:

. لا تقلق أنا واثق أن كريم سيستيقظ من سباته, أما أسيل فلا أعتقد ذلك ولكني متأكد على الأقل أنها لن تصاب بمكروه.

***

نُقل كل من كريم وأسيل لتلك الغرفة, كانت غرفة زجاجية واسعة بها سريران مزودان بالعديد من الأسلاك التي اتصلت بجميع أجزاء

جسديهما, وقد طلب فتحي وضع جهازي إنعاش في أحد أركان الغرفة، دلف كل من فتحي والمدير للغرفة, فقال فتحي باستفزاز:

. هل لي بأن أعرف سببًا لاعتراضك على التجربة؟

رد المدير بسخرية:

. أتطلب رأيي حقا؟!

. في الحقيقة لا أحتاجه ولن يؤثر على أي شيء, ولكنني شخص فضولي أرغب في معرفة سبب رفضك.

. حسناً, أنت تريد خلق واقع افتراضي وتجبره على جعله يتفاعل معه بكل مشاعره أو أنت بالأصح ستكذب على عقله الباطن, ستعطيه أملا وسببا للحياة، ولكن وحينما يصدق هذا العالم ويستيقظ فعلا.. ألم تفكر أنه قد يصاب بصدمة أشد وينهار؟

قال فتحي ببرود:

. قد يصاب، وليس أكيدا.

. أنت تنوي جعله يعيش حياة افتراضية يرى فيها أخته وعائلته وتقنعه أنهم أحياء وحينما يستيقظ ستقول مفاجأة لا شيء من هذا حقيقي كنا نتسلى بمشاعرك قليلا!!

قاطعه فتحي:

ومن قال أن العالم سيحوي أيا من ذكرياته أو عائلته؟ يبدو أنك لم تفهم بعد العالم الذي سأصنعه لن يمت لحياته السابقة سوى بصلة واحدة، أخته.. لن أعود لذكرياته أو أحاول صنع المزيد منها سأضعه في وضع محير وغامض لينتبه له ثم سأصدمه، سأجعل جسده بالكامل يتفاعل مع الأمر.

. أنت مجنون!! أنت تعرض حياة المريض لخطر.

صرخ المدير بهذه الجملة ثم صمت قليلا ليهدأ وتابع:

. ولكن ما باليد حيلة, لا يمكنني منعك أفعل ما شئت ما دمت مسئولا عنه.

قال فتحي بثقة:

. درست الموضوع لمدة طويلة وأنا مستعد لأي شيء قد يحدث، رجاء سأطلب منك التوجه للغرفة المخصصة لك حيث يمكنك مشاهدة كل شيء.

***

لم يكن يشعر بأي شيء منذ مدة، ولكن هناك أمر غريب، وكأن ستار الصمت انزاح أخيرا بعد أعوام ظن فيها أنه أصم, لقد سمع صوتها بينهم وهي تقول: كريم أستيقظ!!

كريم:

فتحت عيني لأجد نفسي بمنتصف طريق عام، تأملت المجتمعين حولي ممن يحاولون إيقاظي لدقائق, لحظة ملابسهم, أليست ملابس الستينيات؟، تحدثت بهدوء بعكس الذعر الذي اعتراني:

. في أي عام نحن؟

أجابني أحد الواقفين بنظرة متعجبة: 1962.

جف حلقي وعجزت الكلمات عن الخروج، بدأوا يرحلون من حولي ولا زلت جالسا أحدق في الفراغ تخليت عن الهدوء وقلت بذعر وكأنني بدأت باستيعاب الأمر: ماذا حدث؟ وأين ريم؟.

وقفت بصعوبة وأنا أتمتم: ماذا عن الحادث وريم؟ أقترب مني أحد الواقفين بخفة, ثم قال بصوت هامس: أتبعني.

التفتُ إليه فوجدته يرتدي معطفا أسود ويسرع في خطواته مبتعدا عني, فجأة وجدته يركض بسرعة, ركضت خلفه دون تردد كنت متأكدا أنه يعلم شيئا عني، دخل الرجل لزقاق ضيق ومظلم رغم أننا في وضح النهار, دخلت بعده ولكنني لم أجده، تابعت الدخول بخطوات حذرة, فوجدت شخصا ذا معطف بني راكعا على ركبتيه ومنهمكا في عمل ما, اقتربت منه أكثر بدافع الفضول لأجد سيلا من الدماء يجري من أسفله, لقد كانت امرأة مذبوحة بوحشية وقد أخذ بأصبعه بعضا من الدم وهمّ يكتب به على جبهتها وهو يغني, لم أستطع كبح ذعري أكثر, فشهقت بصوت عال ألتفت إلى الرجل بسرعة, ظللت أنظر لعينيه المظلمتين التي أعتقد أنهما على الأرجح سبب الظلام المحيط بي, هبّ الرجل سريعا ودفعني بيده الملوثة بالدماء فسقطت أرضا, كنت مصدوما وعاجزا عن الحركة لبعض الوقت.. التفت بحذر لأنظر إليه ولكنه كان قد اختفى, وفي تلك الأثناء تسللت امرأة من خلفي وقالت:

. هل أنت بخير يا بني؟

أحسب أنها قالت هذا قبل أن ترى الجثة, ما أن نظرت لها حتى رأت ملابسي الغارقة بالدماء ورأت الجثة بوضوح, صرخت بفزع تطلب النجدة.. أدركت أن علي الهرب الآن فوقفت مسرعًا ودفعتها من ذعري وركضت بسرعة دون أن أنظر خلفي، كنت أعتقد أنه كلما أسرعت خطواتي كلما أسرع الزمان بي وعدت بذاكرتي لزمني, لذلك اليوم المشؤوم، يوم خسرت كل شيء.

كنت أسمع الشهقات من حولي وأنا أركض، توقفت لألتقط أنفاسي قليلا فأوقفني رجل عجوز وقال لي:

. هل أنت بخير؟ ملابسك!!

نظرت لملابسي, إنها حرفيا غارقة بالدماء, هربت بسرعة وأنا أتلفت وأرى نظرات الفزع على وجوه من حولي، توقفت قدمي عند أحد المتاجر

دخلت سريعا وسرقت أحد المعاطف دون تفكير, ثم خرجت مسرعا, ارتديت المعطف وأغلقته بأحكام ثم سرت في الطرقات بلا هدى حتى حل المساء.

سمعت عن تلك الجريمة التي رأيتها بالصباح أثناء سيري, وقالوا إن الشاهدة قد استطاعت وصف القاتل بدقة وهو القاتل الذي كان مسئولًا عن سلسلة الجرائم السابقة وغدا ستكون صورته في الصفحات الأولى من الجرائد، كنت ميتا رغم أني أتنفس، لا أفهم ماذا يحدث أو لماذا؟ كنت أسير بهمجية، حتى اصطدمت بفتاة تبدو كالملاك، فسقطتْ أرضا وتناثر شعرها الحريري، كانت تبكي بطريقة مزقت روحي, أيقظني بكاؤها من نوبة الأسئلة التي تكاد تقتلني, انحنيت نحوها وتساءلت: هل أنتِ بخير؟

***

كانت قد يئست بالفعل من العودة، لقد بحثت عنه لسنوات ولكنه كان سرابا، أنه وحده من يستطيع إنقاذها من كل هذا. ظلت تتذكر تلك اللحظة, حينما سمعت صوته الذي تفتقده بشدة: أسيل استيقظي!!

أسيل:

كنت أبكي بلا توقف, قضيت أسبوعًا عصيبًا وأنا أبحث عن ذلك الشاب, في البداية استيقظت في منزلٍ خال, قمت بسرعة وأنا أنظر للمكان بفزع, خرجت من غرفة النوم لأجد شخصا يجلس على الأريكة, لقد أخفت وجهها بمهارة ولكني أعلم أنها امرأة، قالت لي بجفاء:

. إن أردتي رؤية والدك مجددا، أبحثي عن هذا.

ثم ألقت بصورة لشاب يافع على المنضدة, ثم توجهت نحو الباب وكادت أن تغادر فقلت لها:

. وإذا وجدته كيف سأخبرك؟

فقالت لي بسخرية: حينما تجدينه سآتي إليك وأخبرك بما أريد.

ثم أطلقت ضحكة رنانة وغادرت, حاولت اللحاق بها ولكنها قد اختفت، مر أسبوع كامل وأنا أنهار, لقد تعبت من البحث عن شخص لا أعرفه، تعبت من الوحشة التي تلتهم جسدي وروحي دون رحمة, فجأة سقطت أرضا كان عقلي متوقفا, حتى أني لا أعلم ما سبب سقوطي سمعت أحدا يسألني:

. هل أنتي بخير؟

أجبته: نعم بخير.

مسحت دموعي ونظرت إليه, غير معقول.. هو ذلك الشاب الذي كنت أبحث عنه!

قطع سروري وتفكيري بصوته العذب قائلاً:

. كيف أساعدك؟

كنت أحدق به فلمحت بعضا من الدماء على مقدمة عنقه قلت له وأنا أشير لعنقه:

. يبدو لي أنك من تحتاج للمساعدة, سارع بمسح الدم بسرعة وساعدني على الوقوف قائلاً:

. في الحقيقة نعم احتاج للمساعدة وفي المقابل سأساعدك, أنا كريم وأنتِ؟

قلت: أسيل ثم تابعت:

. كيف يمكنني مساعدتك؟

. أحتاج مكانا للمبيت وأنتِ؟

قلت له بدون تفكير:

. أحتاجك فحسب.

أدركت ما قلته متأخرا فتداركت الأمر وتابعت:

. أحتاج رجلا, فالسفاح لا يقتل سوى العازبات.

نظر إلي بتعجب وكاد أن يتحدث ولكني قاطعته وقلت:

. منزلي قريب من هنا يمكننا الذهاب الآن أن أردت.

هز رأسه بالموافقة فذهبنا باتجاه المنزل.. ظللت أتلفت يمينًا ويسارًا طوال الطريق بحثًا عن تلك المرأة التي طلبت مني إيجاده ولكن دون جدوى.. وما أن دخلنا إلى المنزل حتى تساءل قائلا:

. ماذا كنتِ تقصدين مسبقا؟

تجاهلت سؤاله وعمدت إلى تغيير مجرى الحوار بقولي:

. أخلع معطفك أولا يبدو أن لديك جرحا يحتاج لعناية.

. أنا بخير

في الحقيقة لا أظن أنه شخص عادي, هناك أمر مريب به بدأت أشك أنه ذلك السفاح الذي قتل الست نساء, ركضت نحو مطبخي وأحضرت سكينا ووجهتها نحوه قلت بصرامة:

. أخلع معطفك

كان يبدو عليه الخوف أطاع أمري وبدأ بخلع معطفه ببطء وهو يقول:

. أرجوك أستمعي لي أولا .. ..

***

كريم:

فكرت بسرد حكايتي كاملة منذ البداية وحتى استيقاظي بذلك العالم الغريب، ولكنها بالطبع لن تصدقني بل ستجزم بأنني سفاح مختل.. لذا فقد قررت سرد حكايتي مع جريمة القتل التي لم يكن لي ناقة بها أو جمل، ولكن يبدو أنها لم تصدقني.. قالت لي بحزم:

. أنت السفاح إذا؟

نظرت لها بخوف يبدو أنها لم تصدقني اقتربت مني همت بضربي, أغمضت عيني ورفعت يدي أمام وجهي لأحتمي بها, فجأة سمعت صوت ضحكاتها، قالت بسخرية:

. يبدو أنك لست هو.

ثم دخلت لإحدى الغرف وهي تقول:

. تستطيع المبيت بأي غرفة جميعها فارغة.

كان هنالك ثلاثة غرف اخترت أبعد واحدة عن غرفتها أكاد أجزم أنها هي السفاح لولا اختلاف نظراتهما ولكني في الحقيقة كنت معجبا بقوتها نمت بصعوبة لبعض من الوقت، أيقظني رائحة عبيرها في الغرفة, فتحت عيني بصعوبة لأجدها تجلس وتحدق بي بصمت, ارتعدت أوصالي من فعلتها فقلت لها بفزع:

. ماذا هناك؟

. أصبحت متهما في 7 جرائم الآن.. لقد قتلت صحفية بالأمس ليلا بنفس الأسلوب، أين ذهبت بعد أن خلدت أنا للنوم؟

. أقسم أنني لم أخرج من الغرفة

. أتمزح معي؟ لم يكن هناك أحد هنا ليلا، لقد استيقظت وبحثت عنك ولكنك اختفيت.

أسيل:

كنت أكذب عليه أعلم أنه لم يخرج من الغرفة قط ولكني أردت أن أعرف ما الذي سيقوله أو كيف سيتصرف استمتعت بملامح الفزع تملأ عينيه قبل أن يقول لي بيأس:

. إنها إعدام بالنهاية.. قتلت أنثى أو اثنتين أو سبع, لم يعد يشكل الأمر فارقا بالنسبة لي حياتي انتهت منذ لحظة قدومي هنا.

نظرت له بتعجب ماذا يقصد بقدومه هنا.. تُرى أهو مثلي؟ قلت له:

. سأعود متأخرة.

خرجت من المنزل تاركة إياه بدائرة من الأسئلة تشبه تلك التي تحيط عقلي.

كريم:

ذهبت لأتجول قليلًا بالمدينة فالمكوث بمنزلها لا يريحني البتة ولكن لا خيار أمامي, وفي أثناء سيري وجدت ذلك الشخص ذي المعطف الأسود يشير إلي بأن أتبعه, ثم هم بالركض مبتعدا عني، كنت يائسا للغاية وفكرت في تجاهله ولكن قدمي تحركت من تلقائهما نحوه ترى ماذا سأجد هذه المرة؟

رأيته يشير إلى شخص يرتدي معطفا يبدو مألوفا لي.. تبعت ذلك الشخص حتى دخل لأحد المباني وصعد السلم ثم توجه نحو إحدى الشقق فتحها بالمفتاح ودخل, لم أستطع اللحاق به فانتظرته أسفل المبنى خرج بعد مرور نصف ساعة تقريبا أمسكت بكتفه فالتفت إلي نصف التفاتة.. لقد كانت امرأة!.. دفعتني بيدها الملطخة بالدماء وسقط منها مفتاح الشقة وركضت، لم ألحق بها بل صعدت لتلك الشقة فتحت الباب ببطء.. ويا ليتني ما فتحته.. فقد وجدت زوجين مذبوحين بالداخل, سقطت أرضًا من هول الصدمة, ثم تنبهت لصوت يأتي من الداخل، بحثت عن مصدر الصوت فوجدت معطفا ما ملقى على سرير للأطفال،

أزلت المعطف لأجد طفلا رضيعا يبكي ويصرخ لم أستطع فعل أي شيء سوى أن أبكي أنا أيضا، تمالكت نفسي وفكرت.. السفاح من البداية كان امرأة وليس رجلا، نظرت إلى المعطف متذكرًا إياه، إنه يبدو كمعطف أسيل تماما حتى أنه يحمل رائحتها.. .عدت للمنزل مسرعا، ولكنني لم أجدها، انتظرتها لعدة ساعات مرت على كدهر كامل، حتى فتحت الباب ويبدو عليها الإرهاق.. سألتها بحزم:

. أين كنتِ حتى الآن؟

نظرت إلى بتحدي وقالت:

. ما شأنك أنت؟ هل أنت واص علي؟

أمسكت كتفها بعنف وقلت لها:

. أين كنتِ أجيبيني؟

. أنت مجنون!

هكذا جاءت إجابتها ثم نظرت لي بتفحص وقالت:

. وما هذه الدماء على ملابسك.. أأصبحت عادة لديك؟

نظرتُ لها بأعين ترميها بسهام الشك قبل أن أجيب سؤالها بسؤال:

. بالطبع سمعتِ عن العائلة التي قتلت اليوم المتهمة امرأة.. معطفك كان هناك أنسة أسيل حتى أنه يحمل رائحتك.

تطاير الشرر من عينها قبل أن تتحدث بعصبية:

مِعطفي سُرق منذ قدومك ثم لماذا لا تكون أنت القاتل؟، ملابسك غارقة بدمائهم جميعا.

لم أشعر بنفسي سوى وأنا أصرخ بها:

. كفي عن التمثيل، لقد جعلتيني أنا المتورط في كل هذا لا أعلم لماذا؟، لا أعرف شيئا عنك أو حتى سبب عيشك وحدك في هذه الشقة, إلا تخشين وجود شخص غريب معكِ هنا رغم وجود سفاح يحوم في المدينة!، أتعتقدين أني سأصدق أنك طبيعية !! بالطبع لا.

أسيل:

كل ما قاله لي كان صحيحا له الحق بأن يظن أنني القاتلة, دوما ما كان الخير ينتصر على الشر في النهاية, ولكن كل شيء يُحتم على أن أكون أنا الشر نفسه, لماذا يحتم على أن أقتله حتى أعيش؟ كنت أفكر كيف أجيب على اتهاماته, فتمالكت أعصابي وتحدثت بهدوء:

أنت لست قاتلا, وأنا أيضا لست كذلك صدق الأمر أو لا تصدقه.. كل ما في الأمر أن حياتي أنا وأنت متوقفة ولا أعلم متى سيؤذن لها أن تعود للسير مرة أخرى.

هدأت نوبة غضبه فتركته ودلفت إلى غرفتي.

***

(كريم)

رأيت الصدق بعينيها, يبدو أنها مثلي تماما, نظراتها كانت مشرقة, ليست كتلك التي من ظلمتها تكاد تظلم العالم أجمع, شعرت بالندم قليلاً, لم تكن تستحق ما قلته حقاً.. ولكني لم أزد حرفًا على كلامي بل تركتها وذهبت للنوم, وفي الصباح قررت أن أراقبها لأعلم إلى أين تذهب وليطمئن قلبي, خرجت هي دون أن تتفوه بكلمة, تبعتها حتى وصلت لمبنى محترق دخلت إليه وحدها, ثم دخلت بعدها, كانت تنادي: ريم، ريم.

شعرت بأنفاسي تزداد وأنا أنظر لها, جاءت ريم ووقفت أمام أسيل وقالت لها:

. ماذا تريدين؟ ألم أقل لكِ أن تقتليه ماذا تنتظرين؟

بدأت دموع أسيل بالفرار من حواجز عينيها وبدأت الحديث بصوت واهن أشبه بالتوسل:

. لا أستطيع, لا أستطيع أن أؤذيه.. أن كان قتله سيجعلني أعود لزماني وأرى أبي، فلا أريد العودة ولا رؤية أبي مجددا أنا لن أفعل هذا.

اقتربت ريم من أسيل وفجأة جذبتها من شعرها بقسوة وقالت:

لا تستطيعي البقاء هنا، أنتي متهمة في جريمة عزيزتي أن بقيتي هنا ستقضين الباقي من حياتك تتعفنين في السجن, أو تظلين هاربة طوال حياتك.. لماذا تدافعين عنه قتله ليس صعبا، لقد قتلت عائلة من قبل، أليس كذلك أسيل؟

صرخت أسيل قائلة:

. أنتِ كاذبة، أنتِ من قتلتهم وقتلتي السبع نساء الأخريات.

قالت ريم لها بسخرية:

. لا عزيزتي، السبع نساء لقد قتلهم والدك الذي لا تريدين رؤيته، سيحزن كثيرا عندما يعلم أن ابنته الوحيدة لا ترغب برؤيته أبدا.

قالت أسيل بتألم:

. لن أستطيع قتله صدقيني.

هنا لم استطع التزام الصمت أكثر من ذلك فصحت قائلاً:

. ماذا يحدث هنا؟

نظرت لي ريم أنها حقا ريم أختي ولكنها لم تكن هي، نظراتها مظلمة تماما، قالت ريم:

. أحسنتي يا أسيل حقا, أحضرتيه هنا بطريقة ذكية!

هكذا صاحت ريم بسخرية تمتزج بالغضب أما أسيل، فقد ظلت تبكي وتتأوه، كنت عاجزا عن الحراك, وفجأة أتى رجل من خلفي, أدخل سكينا بظهري وتابع طعني دون توقف، لقد كان هو السفاح، كانت أسيل تبكي بحرقة وتقول: أبي, أبي لا تفعل هذا أرجوك.. آخر ما سمعته كان صوتها وهي تقول: كريم أستيقظ..

***

في عام 2047

كان الطبيب فتحي يحاول التحكم بدماغ كريم بعد أن يأس من استيقاظ أسيل, ولكن كان جسد كريم خارجًا عن السيطرة، كان ينتفض بشدة مع كل طعنة, أما أسيل فلا زالت في سباتها العميق, أخذ فتحي يتصبب عرقا رغم برودة الغرفة، فجأة توقف نبض كريم، فسارع بأخذ جهاز الإنعاش وأخذ يحاول إعادة النبض له وهو يصرخ:

. إنها الخطوة الأخيرة عليه حتما أن يستيقظ الآن, عليه أن يستيقظ.

دخل مدير المشفى بسرعة وساعد فتحي على الإنعاش فعاد نبض كريم بعد محاولات عديدة.

صرخ المدير بفتحي قائلاً:

. لقد كاد أن يموت بسببك, لقد دمرته حرفيا, ولم يستيقظ بعد كل هذا! الآن أتمنى أن تدرك أن تجربتك كانت فاشلة من البداية.

ورغم فشل التجربة الوشيك إلا أن فتحي لم يتنازل عن تلك الثقة فتحدث قائلاً:

. علينا أن ننتظر ليومين على الأقل، من المفترض أن يكره أخته ويكره الواقع الافتراضي ويُصدم منه فببساطة يستيقظ من غيبوبته.

استمر المدير بصراخه قائلاً:

. أن أفاق من غيبوبته فأنا متأكد أنه سيكون مريضا نفسيا, أنت أردت تعذيبه حتى يستيقظ أردت إجباره على نجاح تجربتك اللعينة.

ثم نظر له باشمئزاز وخرج من الغرفة، نادى على الممرضات وأمرهم بإخراج كل من كريم وأسيل وإعادتهما إلى غرفتيهما.

***

مر أسبوعان ولم يستيقظ كريم أو أسيل, أصيب فتحي بالاكتئاب الحاد ولم يعد يأت للمشفى ذهب مدير المشفى لزيارة فتحي في منزله وقال له: قل الحمد لله أن كريم لم يمت بعد ما حدث.

ولكن فتحي ظل يتابع المدير بصمت، فاستكمل الأخير حديثه قائلا:

. فكر في أمر آخر سوى استيقاظ كريم, صدقني التجربة كانت فاشلة من البداية .

قاطعه فتحي بعصبية قائلا:

. إياك والقول إنها فاشلة, الأمر لم ينجح على كريم فحسب، سأجرب على شخص آخر، فصرخ المدير به قائلا: مستحيل لن أسمح لك بهذا.

هم فتحي بالحديث ولكن المدير قاطعه قائلا:

تشرفت بمقابلتك يا فتحي أتمنى أن تنجح مستقبلا في أي شيء سوى الطب، غادر المدير وعاد للمشفى، كان ينظر لكريم الذي يبدو وكأنه لا زال يتألم، قالت الممرضة للمدير: لقد كان الأمر فاشلا منذ البداية، قال المدير: لم استطع النوم منذ أسبوعين. كل ما أحلم به هو يوم التجربة..

وبعد مرور 10 أيام وصل للمدير نبأ انتحار فتحي قبل يومين بسبب اكتئابه الحاد، حيث قال شهود إنه دخل لمختبره وأحرقه وهو في الداخل، وبسبب انهيار المختبر وتفحمه لم يتم العثور على جثته, وقد ترك رسالة في منزله قال فيها: التجربة لم ولن تكون فاشلة أبدا.

ذهب المدير للعزاء وهو يقول في نفسه:

. يبدو أنه لم يتحمل فكرة فشل تجربته.

عاد لمنزله وبعد عدة ساعات, تفاجأ المدير باتصال الممرضة به في الساعة الثالثة فجرا وحينما أجاب ردت بصوت لاهث: دكتور لقد شب حريق هائل في المصحة, قال بصدمة: ماذا؟؟ ماذا عن المرضى؟ قالت له: لا تقلق رجال الإطفاء ساعدونا واستطعنا إخراج المرضى وإصاباتهم طفيفة ولكن صمتت قليلا فقال المدير: ولكن ماذا؟ قالت: كريم وأسيل مفقودان، قال: ماذا؟؟ قالت: يبدو على الأرجح أنهما استيقظا، الحريق كان مفتعلا، قال المدير: معقول إنهما قد استيقظا؟؟